

إحياء علوم الدين

تعالى قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة .

وكان الفضيل يقول إذا استوي عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله من كرمه قد رضى من عبده بما رضى العبيد من موالهم قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فإن محبة الله من عبده أن يرضوا عنه .

وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط // حديث إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا الحديث أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال بقسطه وقد تقدم // .

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى .

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور وإنما أتى من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين .

أحدهما أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحه ولا يدرك ألمها .

ومثاله الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بألم ذلك لشغل قلبه .

بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به فإن كان مشغول القلب بهمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به .

وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه .

هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فإن الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحث يدهش

ويغشى عليه فلا يحس مما يجري عليه .

فقد روى أن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقبل لها أما تجدين الوجع
فقلت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجعه .

وكان سهل C تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقبل له في ذلك فقال يا دوست
ضرب الحبيب لا يوجع .

وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا
له أعني بعقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتبس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك
ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منه بفعله فهذا حال الراضي بما
يجري عليه من الألم .

وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة
السفر وجعله راضيا بها .

ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضى
به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان